(لما يمتحننا الله امتحاناتٍ صعبة؟)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ سيّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خيرُ نبي اجتباه، هدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدِّين كلِّه ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللَّهم صلِّ على سيّدنا محمَّد وعلى أله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد:

عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير:

يقول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران:142].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:155].

وقال جلَّ وعلا: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران:140].

وقال سبحانه: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:179].

وقال عزَّ شأنه: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمَّد:4].

وقال تبارك وجهه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمَّد:31].

عنوان خطبة اليوم:

(لماذا يمتحننا الله امتحاناتٍ صعبة؟)

وهذا العُنوان مأخوذ من سؤال راسلني به أحد الإخوة عبر موقع الانترنت، فأحببت أن أجعله مادة خطبة اليوم، ليفيد منها عدد كبير من الإخوة والأخوات في هذه الأزمة التي نعيش، حيث قلَّ مال البعض، وزُهقت أنفس البعض، واعتُدي ظُلماً على آخرين، وأُخرج قومٌ من ديارهم بغير حق، وأُصيب ناس في أعراضهم وناس في أموالهم، فلماذا يمتحننا الله جلَّ جلاله امتحاناتٍ صعبة؟

وهاأنا أجعل جوابي في نقاط أربع:

1) الامتحانات للنَّاس جميعاً وليست لنا وحدنا.
2) للامتحانات حِكَمٌ جليلةٌ إحداها: لِيَمِيزَ الله الخبيث من الطَّيب.
3) كلَّما صعُب الامتحان علت رُتبة النَّاجحين فيه.
4) أمور تساعدك في الامتحان.

النُّقطة الأولى: الامتحانات للنَّاس جميعاً وليست لنا وحدنا.

الابتلاء سُنَّة جارية في النَّاس عامَّةً وفي المؤمنين خاصَّةً، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:2].

وقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك:2].

وقال: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت:1-3].

وقال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ. . .﴾ -والله سوف نختبركم- ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمَّد:31].

فسُنَّة الله الجارية في عباده عامَّةً وفي المؤمنين خاصَّةً الابتلاء والاختبار....

وهذه السُّنَّة يتبعها عقلاء الأرض قاطبةً فلا يُرقُّون موظَّفاً إلَّا بعد اختبار، ولا يجيزون طبيباً إلَّا بعد اختبار، ولا يمنحون طالباً رتبةً علميةً أو عمليةً إلَّا بعد تمحيص وابتلاء واختبار....

النُّقطة الثَّانية: للامتحانات حِكَمٌ جليلةٌ إحداها: لِيَمِيزَ الله الخبيث من الطَّيب.

فأقول: عدَّ العلماء للابتلاء حِكَماً كثيرةً أقتصر على خمسة:

1. في الابتلاء إعداد للمؤمنين للتَّمْكِين في الأرض، فالابتلاء يُربِّي الرِّجال ويُعدُّهم للرُّتب العالية، ولن يُمَكِّنَ الله لأمَّة حتَّى يختبرها، ولن يُمَكِّنَ الله لجماعة حتَّى يبتليها...

جرت سُنَّة الله تعالى أن لا يُمَكِّنَ لفردٍ أو لجماعةٍ أو لأمَّةٍ إلَّا بعد أن ينصهر معدنها في بوتقة الأحداث المختلفة لِيَمِيزَ الله الخبيث من الطَّيب، وليمحِّص الله النَّاس، وليختبر المؤمنين، ولِيَعلمَ الصَّابرين، ثمَّ يكون لهؤلاء الذين صبروا في الامتحان التَّمْكِيْن في الأرض.... ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السَّجدة:24].

أمَّا أولئك الذين لم يصبروا وغيَّروا عقيدتهم وبدَّلوا واستسلموا نتيجة صعوبة الاختبارات فليس لهم أن يكونوا أئمةً في الأرض يُقْتَدى بهم.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:214].

قيل للإمام الشَّافعي -رحمه الله-: أيّهما أفضل: الصَّبر أو التَّمْكِين؟ فقال: "لا يكون التَّمْكِين إلَّا بعد الْمِحْنَة، فإذا امتُحِن صَبَرَ، وإذا صَبَرَ مُكِّنَ".

لقد اختار الله لنبيه -صلَّى الله عليه وسلَّم- العيش الذي تتخلَّله الشَّدائد، منذ صغره ليُعِدَّه للمهمَّة العُظمى التي تنتظره، والتي لا يمكن أن يصبر عليها إلَّا أشدَّاء الرِّجال، الذين عركتهم الشَّدائد فصمدوا لها، وابتُلوا بالمصائب فصبروا عليها.

2. في الابتلاء مغفرة الذُّنوب وحصول الأجر ورِفعة الدَّرجات.

عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال النَّبيُّ –صلَّى الله عليه وسلَّم–: ((مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ، فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ))[1].

وعَنْ أَنَسٍ –رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: ((إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[2].

وعَنْ أُمِّ المؤمنين عَائِشَةَ –رضي الله عنها– قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: ((مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً))[3].

3. وفي الابتلاء فرصةٌ للتَّفكير في العيوب، عيوب النَّفس وأخطاء المرحلة الماضية، سواء أخطاءك مع خالقك لتتوب منها، أو أخطاءك مع الخَلْق لتصحح سيرك معهم.

والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ [النِّساء:79]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشُّورى:30].

والبلاء فرصة للتَّوبة قبل أن يحلَّ العذاب الأكبر يوم القيامة فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السَّجدة:21]، والعذاب الأدنى هو نَكَد الدُّنيا ونغصها وما يصيب الإنسان من سوء وشرٍّ.

4. وفي البلاء إخراج العُجب من النُّفوس وجعلها أقرب إلى الله تعالى.

فالبلاء يطلعك عمليًّا على حقيقة نفسك لتعلم أنَّك عبد ضعيف، لا حول لك ولا قوَّة إلَّا بربِّك، فتتوكَّل عليه حقَّ التَّوكل، وتلجأ إليه حقَّ اللُّجوء، حينها يسقط الجاه والتِّيه والخُيلاء، والعُجب والغُرور والغَفلة، وتفهم أنَّك مسكين يلوذُ بمولاه، وضعيف يَلجأ إلى القويِّ العزيز سبحانه.

قال ابن القيم: "فلولا أنَّه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء، لطغوا وبغوا وعتوا، والله سبحانه إذا أراد بعبدٍ خيراً سقاه دواءً من الابتلاء والامتحان على قدر حاله، يستفرغ به

---

[1] () أخرجه الترمذي في "جامعه" [4/602].

[2] () أخرجه الترمذي في "جامعه" [4/601].

[3] () أخرجه مسلم في "صحيحه" رقم (2572).

منه الأدواء المهلكة، حتَّى إذا هذَّبه ونقاه وصفَّاه: أهَّله لأشرف مراتب الدُّنيا، وأرفع ثواب الآخرة"ا.هـ.

5. وفي الابتلاء فرز للنَّاس وتمحيص يَمِيزُ الله به الخبيث من الطَّيب، قال الله تعالى:

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:141]، قال القاسمي:

" أي لينقِّيهم ويخلِّصهم من الذُّنوب، ومن آفات النُّفوس. وأيضاً فإنَّه خلَّصهم ومحَّصهم من المنافقين، فتميَّزوا منهم...، ثمَّ ذَكَرَ حكمة أخرى وهي: (ويمحق الكافرين) أي يُهلكهم، فإنَّهم إذا ظَفروا بَغَوا وبطروا، فيكونُ ذلك سبب دمارهم وهلاكهم، إذ جرت سُنَّة الله تعالى إذا أراد أن يُهلك أعداءه ويمحقهم قيَّض لهم الأسباب التي يستوجبون بها هلاكهم ومحقهم، ومن أعظمها بعد كفرهم بغيهم وطغيانهم في أذى أوليائه ومحاربتهم وقتالهم والتَّسليط عليهم... وقد محق الله الذي حاربوا رسول الله –صلَّى الله عليه وسلَّم– يوم أحد وأصرُّوا على الكفر جميعاً"ا.هـ.

قال الفُضيل بن عياض: "النَّاس ما داموا في عافية مستورون، فإذا نزل بهم بلاء صاروا إلى حقائقهم؛ فصار المؤمن إلى إيمانه، وصار المنافق إلى نفاقه".

قال بعضهم: لولا حوادث الأيَّام لم يُعرف صَبرُ الكِرام ولا جَزع اللِئام.

أنشد أحد الشُّعراء:

جزى الله الشَّدائد كلَّ خير وإنْ كانت تُغصِّصني بريقي

وما شُكري لها إلَّا لأنِّي عرفت بها عدوي من صديقي

النُّقطة الثَّالثة: كلَّما صعُب الامتحان علت رُتبة النَّاجحين فيه.

ولذلك كانت أصعب الامتحانات للأنبياء ثمَّ الأمثل فالأمثل لأنَّهم بصبرهم العالي وبذلهم الغالي صاروا أعلى النَّاس رتبةً في الدُّنيا والآخرة.

روى الترمذي عَنْ سَعْد بن أبي وقاص –رضي الله عنه– قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ, أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ قَالَ: ((**الأَنْبِيَاءُ, ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ, فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ, فَإِنْ كَانَ**

دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاؤُهُ, وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ, فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ))[4].

قال ابن القيم في "الفوائد" [ص42]:

"الطَّريق طريقٌ تعِب فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورُمي في النَّار الخليل، وأُضْجع للذَّبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمنٍ بخسٍ ولبث في السِّجن بضع سنين، ونُشر بالمنشار زكريا، وذُبح السَّيد الحصور يحيى، وقاسى الضُّرَّ أيوب... وعالج الفقر وأنواع الأذى محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم"ا.هـ.

فمهما صعُب الامتحان والابتلاء وكنت فيه منضبطاً بأمر الله ملتزماً شرعه فأعدَّ نفسك للرُّتب العالية والمنازل السَّنية، فبعد كلِّ محنةٍ مِنحة وبعد كلِّ شِدَّةٍ شَدَّة وبعد كلِّ ابتلاءٍ عطاء.

النُّقطة الرَّابعة: أمور تساعدك في الامتحان.

وهي أمور تخفِّف البلاء على المبتلى وتُسَكِّن الحزن وتربط على القلب:

أوَّلها الدُّعاء: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة:155-156]، وما استرجع أحدٌ في مصيبةٍ إلَّا أخلفه الله خيراً منها.

وثانيها الصَّلاة: فقد كان رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى))[5].

وثالثها الصَّدقة: فإنَّ البلاء لا يَتخطى الصَّدقة.

ورابعها تلاوة القرآن: لقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:82].

أيُّها الإخوة:

هذه نقاطٌ أربعٌ جعلتها جواباً لمن سأل: (لماذا يمتحننا الله امتحاناتٍ صعبة؟).

1) الامتحانات للنَّاس جميعاً وليست لنا وحدنا.
2) للامتحانات حِكَمٌ جليلة إحداها لِيَمِيزَ الله الخبيث من الطَّيب.
3) كلَّما صعُب الامتحان علت الرُّتبة التي تليه للنَّاجحين فيه.
4) أمور تساعدك في الامتحان.

---

[4]() أخرج الترمذي في "جامعه" [4/601].

[5]() أخرجه أبو داود في "سننه" [1/507].

وختاماً أقول:

أتدرون كيف يُنقَّى الذَّهب من شوائبه!!؟

إنَّ تعريض فلذات الذَّهب للنَّار ينقيه من شوائبه، وكلَّما ارتفعت الحرارة أكثر كلَّما وصلنا إلى ذهبٍ خالصٍ أنقى، هذه الحرارة العالية التي يتعرض لها الذَّهب اسمها "ابتلاء"، اسمها "تمحيص" و"امتحان"....

أتدرون كيف يتشكل الألماس!!؟

الألماس: هو فحمٌ تعرض لضغط جويّ كبير يساوي خمسة ملايين ضغط جوي وحرارة عالية تساوي ألف درجة مئوية أو أكثر حوَّلت الفحم إلى ألماس، وبدون هذا الضَّغط وهذه الحرارة لا يصير الكربون ألماساً، هذا الضَّغط الكبير، وهذه الحرارة العالية تسمَّى "ابتلاء" وتسمَّى "امتحان" وتسمَّى "تمحيص"....

ثمَّ أقول لمن سأل: (لماذا يمتحننا الله امتحاناتٍ صعبة؟).

هب أنَّ الله جلَّ جلاله لم يمتحن أحداً ولم يختبره، وتخيَّل لو لُغيت الامتحانات من الدُّنيا ما الذي سيحدث؟

سيستوي المحسن مع المسيء، وسينال من أمضى عامه في اللَّهو واللَّعب الدَّرجة نفسها التي نالها من أمضى عامه في الجِدِّ والاجتهاد، وهذا ما لا يرضاه أحد ولا يقبله عاقل، ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:116].

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ * وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس:108-109].

والحمد لله رب العالمين